إصدارات موقع عيون المعرفة

www.know-e.com

مقالات في القصة القرآنية

المهندس / عبدالحفيظ احمد العمري

دور القصة القرآنية

إن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله كانت مساحة واسعة فإن القصص تبلغ قرابة الثمانية أجزاء من القرآن الكريم ، فهذه المساحة الواسعة التي تقارب الربع من هذا الكتاب العزيز تضع سؤال أمام المتلقي لماذا القصة في القرآن الكريم ؟ ما هو الدور الذي تقوم به القصة القرآنية ؟ لا ريب ان التنوع في اسلوب الخطاب كان وراء وجود القصة في القرآن الكريم كما يلوح من الوهلة الأولى لكن ليس هذا هو الدور الرئيسي للقصة في القرآن بل دورها في إيراد الإحداث السابقة ليس في سرد تاريخي ممل بل في سرد فني عالي المستوى دون التضحية بالحقيقة التاريخية في القصة ليأخذ المتلقي العظة والعبرة تحقيقا لقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (يوسف١١١) ، إلى جانب ان كون امة محمد (ص) شهداء على الناس من الأمم السابقة يتحتم ان تعرف امة محمد(ص) احوال تلك الامم مع رسلهم لتحقق تلك الشهادة على أصولها ونرى ذلك في تركيز القصة القرآنية على الرسل وأحوالهم مع أممهم ..

إلى جانب ان القصة القرآنية تتجاوز في عرضها المقاطع التي لا داعي منها بل تركز على المقاطع التي تخدم هدف السورة الموجودة فيها ذلك المقطع لان القصة هي ضمن نسيج تلك السورة التي تحتويها وليست شيئا مضافا عليها من باب الزخرفة ! ولا نغفل الإمتاع الذي تقدمه القصة في طريقة العرض بحبكتها وتنامي الأحداث ونمو الشخصيات والصراع بينها لتصل إلى نقطة العقدة التي تنفرج في الأخير في تفوق الخير على الشر في صراعهما الأبدي (ومثال ذلك قصة يوسف (ع) التي سماها القرآن أحسن القصص) وكأن القصة القرآنية سِفْر كوني لحقيقة الحياة البشرية منذ ادم وحتى النهاية الدنيوية وما بعدها من حساب وجزاء إلى جانب القيم الإنسانية التي تعرضها القصة القرآنية للأخلاق السامية التي أبداها الرسل مع أقوامهم في معرض دعوتهم (ومثال ذلك قصة إبراهيم (ع)مع أبيه آزر)..

و تقدم القصة القرآنية صورة مجسدة لعالم الغيب - سواء السابق (المتمثل في قصص الانبياء والمرسلين) أو اللاحق (المتمثل في أحوال القيامة والجنة والنار)- فتنقل المتلقي إلى تلك العوالم البعيدة من خلال عرضها الذي تحافظ فيه على المصداقية والمتمثل في حقيقة حوادث الرسل السابقين مع أممهم وتصديق لما صح في الكتب السماوية من أحوال المرسلين تحقيقا لقوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (النمل٧٦) كل

هذا في إشارة إلى صحة القصة القرآنية لما يأتي من أحداث مستقبلية في عرصات القيامة وما بعدها وهكذا تتضافر جهود القصة القرآنية في تحقيق ما جاءت به آيات السور القرآنية الأخرى حول أخبار الآخرة .

و تلعب القصة القرآنية دورا مهما في تثبيت العقيدة السليمة لدى المؤمنين وتصبيرهم على تحمل المكاره التي يلاقونها من اجل تلك العقيدة وهم يقرؤون أحوال المؤمنين أتباع المرسلين مع المعاندين وصبرهم على أنواع البلاء الذي صبوه عليهم وما كانت خاتمة تلك الأحداث وكذلك يقرؤون أجور المؤمنين عبر العصور في الآخرة في جنات النعيم كل هذا يروه مجسدا في آيات القصة القرآنية .

إلى جانب ان القصة القرآنية تقدم إجابات عن عوالم غيبية لم يكن للعلم بأدواته الامبريقية ان يصل إليها كخلق السماوات والأرض وخلق ادم وصراعه مع إبليس بل وتتعدى الإجابة إلى تساؤلات أسطورية وفلسفية حول حقيقة الإلهة والشيطان والشر و...الخ كل هذا تجاوبا لتقلبات العقل البشري عبر العصور لان القرآن الكريم كتاب الإنسانية في كل زمان ومكان يشير في موضع ويفيض في آخر لكل تلك التساؤلات، لان الله ما كان ليترك الإنسان نهبا للوساوس والظنون من دون ضوء يهديه فكان هذا الكتاب بأساليبه المتنوعة ومنها اسلوب القصة القرآنية والله اعلم .

***

تكرار القصة القرآنية

من التساؤلات التي تدور حول القصة القرآنية هي قضية التكرار فلماذا تكرر ذكر القصص القرآنية هكذا في القرآن الكريم ؟ ولماذا كانت قصة موسى (ع) اكثر القص تكرارا؟ ولماذا لم تتكرر قصة يوسف (ع) ؟ وغيرها من التساؤلات ..

من الامور المهمة ان التكرار هو من صيغ العرب ولعل في قصيدة الحارث بن عباد – اثناء حرب البسوس- اكبر دليل على ذلك بتكراره لقوله (قربا مربط النعامة مني) لاكثر من خمسين مرة لذا فتكرار القصة في القرآن لا يخرجها عن طريقة العرب في الحديث لكن العلة وراء التكرار تكمن في نوعية القصة نفسها فقصة موسى (ع) مثلا تكررت اكثر في القرآن لانها – والله اعلم- تخاطب الناس عن النبي موسى (ع) مع قومه اليهود الذين هم قوم ماديون كما نعلم ولا يؤمنون الا بالمحسوس اكثر من غيره لذا كان هذا التكرار من قبيل هذه المادية وكذلك كان اكثر المحيطين بالنبي والرسالة في فترة النزول من اهل الكتب السماوية هم اليهود فناسب هذا التكرار لتعديد ما منّ الله على أسلافهم من النعم و إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعنتهم على أنبيائهم فكأنه تعالى يقول إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به وأنقذهم من العذاب بسببه فغير بدع ما يعامله أخلافهم محمد (ص).

لكن يجب ان نفهم عدة امور في موضوع التكرار وهي :-

* التكرار لمقاطع القصة الواحدة ليس تكرارا أجوفا لا روح فيه بل هو تكامليا فنجد انه في كل مقطع يضيف القرآن الكريم لمحة أو صورة جديدة لم تكن موجودة في المقطع السابق ففي قصة موسى نجد ان في سورة البقرة ذكر قصة البقرة التي لا ذكر لها في أي مقطع آخر وكذلك كيفية توبة بني إسرائيل من عبادة العجل وجاء في سورة الاعراف اسماء الايات التسع وطلب موسى (ع) رؤية الله سبحانه وتعالى وفي سورة يونس مقطع غرق فرعون بالتفصيل اما في سورة طه فمقطع السامري وعبادة العجل وحوار هارون (ع)مع قوم موسى في غيبته وهكذا في كل مقطع اضافة جديدة حتى اقصر السور تضمنا لقصة موسى(ع) وهي سورة النازعات ذكر مقولة لفرعون (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) لم يذكرها في موضع آخر وهذا التكرار في المقاطع يجعل المتلقي لا يحيط بالقصة كاملة الا إذا قرأ كل مواضع ومقاطع القصة في القرآن كله لا ن ما اوجز في موضع فصّل في موضع آخر.

* ان اختيار مقطع معين من القصة في سورة معينة انما هو يخدم هدف السورة تلك ولا يكون الا في تلك السورة لان سرد القصة هي احدى الوسائل في تحقيق هدف السورة في القرآن الكريم فعن قصة موسى (ع) في سورتي النمل والقصص يقول الدكتور فاضل السامرائي في التعبير القرآني (القصة في سورة القصص إذن مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وهذا الأمر ظاهر في صياغة القصتين، واختيار التعبير لكل منهما.هذا أمر، والأمر الثاني أن المقام في سورة النمل، مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعا بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، في حين ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا.
فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه، ومن ناحية ثالثة، إن كل تعبير مناسبٌ لجو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل.) وهناك الكثير من المقارنات بين مقاطع القصة الواحدة في كتب الدكتور فاضل السامرائي لمن اراد ذلك.

*ان الاختلاف في عبارات نفس المقطع في السور المختلفة تطرح تساؤلا ماذا حدث بالضبط ؟ على سبيل المثال مقطع استسقاء موسى لقومه المذكور في سورتي البقرة و الاعراف ماذا حدث فعلاً هل انفجرت أو انبجست؟ والجواب كلاهما وحسب ما يقوله المفسرون أن الماء انفجرت أولاً بالماء الكثير ثم قلّ الماء بمعاصيهم وفي سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير فجاءت كلمة (انفجرت) أما في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الإنبجاس وهو أقلّ من الإنفجار.....ويمكننا ان نتلمس هذا الاختلاف في اختلاف المفردات التي وصفت ذلك المقطع في كل سورة تضمنته .....

نلاحظ ان هناك قصص في القرآن الكريم لم تكرر ولعل الابرز في ذلك قصة يوسف(ع) فلماذا لم تكرر هذه القصة بالذات ؟ يقول صاحب الاتقان (أن فيها تشبيب النسوة به وحال إمرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر وقد صحح الحاكم في مستدركه حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف

ثانيها أنها إختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص ثالثها قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني إنما كرر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا إشارة إلى عجز العرب كأن النبي قال لهم إن كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص

وظهر لي جواب رابع وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم في مستدركه فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من إستيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها

وجواب خامس وهو أقوى ما يجاب به أن قصص الأنبياء إنما كررت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله فكلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى في آيات (فقد مضت سنة الأولين (الا نفال٣٨) (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن(الانعام٦) وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح) والحق ان قول الامام السيوطي تشبيب النسوة به وحال إمرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا ينافي جمال اللفظ القرآن وتأدبه حتى في شرح اكثر المواضع احراجا بما لا يخدش الحياء العام فبتعبير راقٍ ما ذكر القرآن عن علاقة الرجل بزوجته فقال تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (الاعراف ١٨٩) لاحظ لفظة (تغشاها) وما فيها من رقة وتأدب عال . ولعل قول السيوطي في الاسباب الباقية ما فيه مناسبا ..

اما عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح فيلاحظ الدكتور فضل حسن عباس ان القصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة إلى الله تعالى، فقصص أولئك الأنبياء الذين تحملوا المشقة ولاقوا العنت، وهم يدعون أقوامهم كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام، أما التي ذكرت مرة واحدة لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان بين الأنبياء عليهم السلام وأممهم، وما لاقاه هؤلاء من أولئك، إنما كان حديثها في مجالات اجتماعية، وجوانب إنسانية، وقيم خلقية.

ومنها قصة يوسف (ع) و كذلك قصة موسى (ع) مع العبد الصالح التي جاءت في سورة الكهف، وقصة موسى مع قومه في دخول الأرض المقدسة التي جاءت في سورة المائدة، ومع قومه في ذبح البقرة إلى جانب ان في القرآن الكريم قصصاً لغير الأنبياء، أو لمن اختلف في نبوتهم لم تذكر إلا مرة واحدة في كتاب الله، كقصة ذي القرنين، وما كان من حديث لقمان لابنه، ونبأ ابني آدم وقصة أهل الكهف وخبر المائدة التي طلبها الحواريون ونبأ أصحاب الجنة الذي جاء في سورة (ن).

ولعل القصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة فذكرت أكثر من مرة وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة، قصة آدم عليه السلام ، ولكن إذا عرفنا أن قصة آدم أبي البشر جاءت تحدثنا عن النواحي الفطرية والجوانب الرئيسة في حياة الانسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته، إذا عرفنا ذلك أدركنا السر الذي ذكرت من أجله قصة آدم في أكثر من سـورة.

***

الزمن في القصة القرآنية

مقدمة

لا يمكن لقارئ القران الكريم أن يغفل وجود القصة في ثنايا الآيات القرآنية وهو يراها متناثرة في اغلب السور القرآنية اذ تحتل القصة في القران الكريم قرابة ثمانية أجزاء كاملة بتناثرها العجيب في السور.

ويرى القارئ قصة موسى عليه السلام مثلا تتكرر في أكثر من موضع من السور القرآنية (قرابة ١٨ سورة) في أوضاع وإحداث قد تلوح متكررة لكنها في واقع الأمر تخدم هدف وتتماشى مع سياق تلك السور التي تحتويها..

ولم تقتصر القصص القرآنية على شرح أحوال الأنبياء مع أممهم في القرون الغابرة بل تطرقت إلى مواضع أخرى لا علاقة لها بالأنبياء مثل قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم وغيرها الكثير .. كل هذا الزخم الهائل من القصص العديدة لم توضع جزافا ولا سدى في هذا الكتاب العظيم ..

وتنوعت الدراسات التي تناولت القصة القرآنية من حيث مواضيعها فمن الدراسات ما تناول الجانب التاريخي في هذه القصص ومنها ما تناول الجانب الدعوي والوعظي لهذه القصص ومنها ما تناول الجانب اللغوي والبلاغي لهذه القصص ومقابلاتها وأساليب تكرارها وتخصصت بعض الدراسات في تناول الجانب القصصي نفسه اعني فن القصة وتطبيق حيثيات القصة سواء التقليدية او الحديثة على القصة القرآنية وهذا ما نحن بصدده في هذا البحث ..

الزمن في القصة

وضع نقاد القصة أركان متعددة للقصة بشكلها العام وهذه الأركان قد تفاوت وتداخلت من قصة لأخرى وتطورت هذه الأركان في مسيرة القصة بل وتغيرت النظرة لبعض هذه الأركان مع موجة النقد الحديث وطلب الناقد من كاتب القصة أن يتجاوز بعض هذه الأركان ويقدم تقنيات جديدة لأساليب القصة ..

ومن الأركان التقليدية للقصة :-

١. المكان
٢. الزمان
٣. الحوار

٤. الشخصيات
٥. الحبكة القصصية (الصراع)... وغيرها

وظهرت تقنيات حديثة للقصة منها:-

١. الاسترجاع
٢. الغموض
٣. النهاية المفتوحة...وغيرها

ويحق لكاتب القصة أن يصوغ قصته بالتقنيات التي يراها مناسبة ....ولا ريب أن الزمان ظل وجوده مهيمنا على القصة سواء بشكله التقليدي (ماضي/ حاضر / مستقبل) أو بشكله النفسي والإيحائي فلم يسقط من مسيرة القصة إذ لا حدث بلا زمن ...

ما هي الأزمنة في القصة ؟

تنقسم الأزمنة في القصة إلى ثلاث أنواع هي :-

١. زمن القص (الحدث) وهو الزمن الذي يستهلكه الحدث لوقوعه فهو أكثر مطاطية وحركة
٢. زمن السرد (الحكاية) وهو زمن كتابة القصة أو زمن الخطاب أو زمن نقل القصة ..
٣. الزمن النفسي وهو الإحساس الذاتي والشعور بمرور الزمن من عدمه وهو زمن متعلق بالإنسان نفسه يطبق في القصة على أبطالها ويتم التعبير عن هذا الزمن من داخل الشخصية (على لسانها) او من خارج الشخصيات على لسان السارد (الخطاب) ..

وتتوالد تقنيات معينة من تداخل هذه الأزمنة مع بعضها البعض ...

المفصليات الزمنية

هي التقنيات التي يعتمد عليها كاتب القصة في خلخلة الترتيب التقليدي للزمن (ماضي/ حاضر / مستقبل) للوصول إلى فعالية الأحداث وإبراز الأهم منها بعيدا عن رتابة الزمن

ومن هذه التقنيات :-

١. الترتيب :- خلخلة مرور الزمن بترتيبه التقليدي (ماضي/ حاضر / مستقبل) منها :-
   أ- الاسترجاع وهو تقديم الماضي على الحاضر

ب- الاستشراف وهو تقديم المستقبل على الحاضر

ت- التتابع الأسلوب التقليدي للزمن

٢. المدة :- وهي تسجيل الزمن الذي يشغله القصة على مستوى الخطاب ومنها:-

أ- الخلاصة وهو اختزال الحدث

ب- الوقفة وهو توقف الزمن على مستوى الخطاب

ت- الحذف وهو غياب وحدات زمنية موجودة

ث- المشهد وهو تساوي الخطاب مع القصة

ج- القطع وهو القفز على الزمن او استحضار أزمنة أخرى

٣. التواتر :- وهو تسجيل تكرار الحدث على مستوى القصة ومنه :-

أ- يروي أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة

ب- يروي أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة

ت- يروي مرة واحدة ما حدث مرة واحدة

ث- يروي مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة

وهذه التقنيات مجتمعة تجعل القصة نصا غير تقليديا في وضعية الزمن ...

الترتيب في القصة القرآنية

لم تغب القصة القرآنية عن المشهد النقدي بل احتوت كل جوانبه التي تم ذكرها سابقا فإذا اعتبرنا زمن نزول الآيات القرآنية هو زمن السرد فيكون لدى القصة القرآنية أربع أنواع للزمن هي :-

١) <u>زمان السرد يكون متأخر عن زمن القص (الاسترجاع)</u>

وهذا في اغلب القصص القرآنية إذ يقص الله سبحانه وتعالى على نبيه أخبار الرسل السابقين وتختتم الآيات في اغلب هذه القصص بتذكير الله لنبيه فضله بهذا القص الذي لم يعلمه هو من قبل بألفاظ متعددة منها :-

- ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ <u>وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ</u> }آل عمران٤٤
- {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ <u>وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ</u> }يوسف١٠٢

- {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى موسى عليه السلام الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ }القصص٤٤
- {وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ }القصص٤٥
- {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }القصص٤٦

مع التركيز على لفظة (وَمَا كُنتَ) في كل مرة كاسترجاع مقصود إلى ذلك الزمن القديم وتذكير بفضل هذا الاسترجاع في هذا القران في القصة بالذات لأنه لا علم للنبي ولا لكفار قريش بهذه التفاصيل ولا بالقصص تلك ويجمع هذا الأمر كله قول الله تعالى {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣

٢) زمن السرد سابق لزمن القص (الاستشراف)

ويظهر هذا جليا في حوادث الآخرة ونهاية الظالمين ونهاية الظالمين وشرح لأحوال المؤمنين والكافرين – على السواء – في الجنة والنار والحوارات التي تدور بينهم بحيث يصير حاجز السرد (الخطاب) هو حاجز الأحداث فيصبح المتلقي متفاعل يحيا واقع الأحداث ونلاحظ هنا تغليب فعل المضارع في عرض هذه الوضعية من الأحداث وتلعب الأحداث دورا رئيسيا في عرض الشهد الأكثر توترا في القصة

وهذه التقنية (الاستشراف) لها خصوصيتها في القران الكريم وذلك بسببين :-

١/ طبيعة صاحب الخطاب (الله) فهو عالم الغيب والشهادة وله الحق في الاستشراف

٢/ إن القصة في القران هي وسيلة من وسائل الدعوة والوعظ ويبلغ أعلى درجات الوعظ بمشاهدة المتلقي لمصائر الظالمين فكانت تقنية الاستباق

٣) الزمن النفسي (سبق تعريفه)

ظهر واضحا في قصص القران الكريم على أسلوبين :-

١/ على لسان شخصيات القصة فيتحدثون عن زمنهم النفسي (الذي لاشك ينفصل عن الزمن الواقعي الخارجي) واقرأ معي :-

{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ }غافر٤٩

رغم قصر اليوم لكنه سيكون ذو فائدة لديهم – كما يظنون – لأنه لديهم كبير جدا (نفسيا) لوجود العذاب ..

٢/ الخطاب السردي هو المتحدث عن زمن الشخوص النفسي لان المتحدث الله الذي يعلم السر وأخفى فيعلم زمن الأشخاص النفسي وتقلبهم فيه واقرأ معي :-

{إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً }الإنسان٢٧

(ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) يونس٤٥.

(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) الروم ٥٥-٥٦. وغيرها من الآيات

موضوع الآيات الأولى هو يوم الحساب، فطول هذا اليوم مقارناً بالزمن الأرضي هو خمسون ألف سنة، فالمدة التي يقضيها المؤمن والكافر في هذا اليوم العصيب هي نفس المدة، ولكن الإحساس بها، وتقدير طولها وقصرها يختلف بينهما اختلافاً شديداً فالمؤمن يراه يوماً قريباً قصير المدة، أما الكافر فيثقل عليه ثقلاً شديداً، فهو يستطيل (ذلك اليوم لشدته) وهوله. ويفسر هذا المعنى حديث رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله (ص): يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله (ص): (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا). وإمعاناً في الدلالة على طول هذا اليوم على الكافر، وفي التعبير على شدته عليه استعمل القرآن الكريم لفظ (الثقل)، مع أن العادة أن يقال: زمن طويل أو قصير، لا ثقيل أو خفيف. والحق أن القرآن في قوله تعالى: (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) الإنسان ٢٧، قد استعار الثقل لشدة اليوم وهوله، ولعظم وقعه على نفس الكافر، فهو ثقيل ثقلاً معنوياً على نفسه، لا ثقلاً حسياً على جسده.وقد وصف الزمن ـ كذلك ـ بالثقل في قوله تعالى: (ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) الأعراف ١٨٧، وهذا الثقل في (الساعة) إنما هو لفقد العلم بها: (فإن المجهول ثقيل على النفس، ولا سيما إذا كان عظيماً).

ويرتبط هذا بالنظرية النسبية وماهية الزمن لديها فمرة سؤل اينشتاين – صاحب النظرية النسبية- عن معنى النسبية فقال " لان تقعد مع امرأة جميلة ساعتين تحس أنهما دقيقتين ولان تجلس على موقد دقيقتين تحس أنهما ساعتين هذه هي النسبية "

٤) <u>الزمن التتابعي</u>

هذا الزمن بعيد عن زمن السرد والقص لكنه زمن تمر فيه القصة بتتابع منطقي تقليدي دون تخلخل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل وقد وجد له قدم في القصص القرآنية ليخدم سرد القصة بسلاسة في انسيابية متتابعة ونلاحظ ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام ع العبد الصالح في سورة الكهف وتركزت الأحداث على الحوارات والحركة دون تدخل من السارد (الخطاب) لتصل في الأخير إلى نهاية وعظية مطلوبة

تقنية القطع والحذف

١/ القطع

من التقنيات الزمنية الخاصة التي تعني القفز عن زمن معين او استحضار أزمنة أخرى ونجد هذا في القصص القرآنية بشكل واضح في قصص الأنبياء حيث يتم القفز من زمن القصة إلى الخاتمة في الآخرة خصوصا في السور التي تناولت القصة بشكل مقتضب كما في سورة النازعات والعنكبوت اللتان لم تفصلا في قصة موسى عليه السلام كما فصلت سورة طه او يونس ..وتظهر خاصية القطع ايضا في استحضار مفردات زمنية غائبة تخدم القصة ليست على ترتيب القصة ففي قصة موسى عليه السلام مثلا في سورة الاعراف ذكرت السورة زمنين متعاصرين في وقت واحد قصة هارون مع قوم موسى عليه السلام اثناء ذهاب موسى عليه السلام إلى ربه وما دار بينهم من جدال حول العجل وهو نفس الجدال الذي فصلته سورة طه تداخلا مع قصة السامري في نفس الوقت قصة موسى عليه السلام مع ربه واخذه الالواح وطلبه رؤيته الله وما يمكن ان نطلق عليه عبارة (وفي تلك الاثناء) لتعاصر الحدثان تقوم القصة باستحضارهما معا في خاصية القطع ...

٢/ الحذف

يتناوب الحذف والقطع على تجاوز احداث لا تفيد القصة بشيء وتقفز مباشرة إلى قلب التوتر في القصة والتخلص من الهامشيات التي لا تخدم القصة في شرحها بشيء ففي قصة موسى عليه السلام مثلا في سورة طه انتقل الحديث مباشرة من وقف حديث موسى عليه السلام مع ربه إلى موقفه في قصر فرعون ثم قفزة إلى يوم الزينة وكثير من القصص تقوم على هذه التقنية بحيث يكون الخلط بين تقنية الحذف والقطع لخدمة أغراض القصة من حيث الايجاز ...

تقنية الوقفة والخلاصة

١/ الوقفة

على النقيض من تقنية الحذف القطع كانت الوقفة وهي امتداد الزمن لوضعية معينة قد تأخذ من الزمن قطعا كبيرا كان او صغيرا لكن القصة القرآنية وقفت معها طويلا شارحة اوضاعها لهدف معين هو ابراز هذا الحدث كمحور مؤازر في حركة القصة والملاحظ على هذا الحدث انه لا يتكرر مع تكرر القصة في سورة اخرى (فلا يظهر هذا الحدث الا مرة واحدة) ومثال على ذك

قصة مؤمن آل فرعون الذي فصلته سورة غافر ولم يظهر ثانية في كل السور التي تناولت قصة موسى عليه السلام وكذلك قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام في سورة الكهف .. حتى يمكن اعتبارهما كقصتين منفصلتين عن قصة موسى عليه السلام...

وكذلك قصة النمرود مع نبي الله ابراهيم عليه السلام في سورة البقرة وغيرها من الفروع في القصص الكبرى.

٢/ الخلاصة

اختزال الحدث والقفز منه إلى العبرة المطلوبة منه لان المناط بالقصص القرآنية هو العبرة تصديقا لقولة تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }يوسف١١١

وليس التركيز على الحدث هو المطلوب بقدر اخذ العبرة واذا كان كذلك نجد القصة القرآنية في هذه النقطة لا تفصل بل تمر مر الكرام بشكل مختصر آية او آيتين الهدف هنا إبراز هدف معين تسوقه القصة منذ البداية خصوصا في السور التي ذكرت عدد كبير من الأنبياء ..واقرأ معي

- وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً{٥١} وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً{٥٢} وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً{٥٣} وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً{٥٤} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً{٥٥} وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً{٥٦} وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً{٥٧} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً{٥٨} مريم ٥١-٥٨
- وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ{٨٣} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ{٨٤} وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ{٨٥} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ{٨٦} وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ{٨٧} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ{٨٨} وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ{٨٩} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ{٩٠} وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا

فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ{٩١} إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ{٩٢} الانبياء ٨٣-٩٢

تقنية التواتر

هذه التقنية نجدها متمثلة في قصة موسى عليه السلام على وجه الخصوص وتكرارها على مستوى القران الكريم كله إلى جانب قصص الرسل جملة واحدة

١. يروي أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة : قلب القصة نفسها فقد حدثت مرة واحدة لكن القران رواها أكثر من مرة
٢. يروي أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة : عناد الكافرين لرسلهم فقد حدث أكثر من مرة ورواها القران أكثر من مرة
٣. يروي مرة واحدة ما حدث مرة واحدة : قصة طلب موسى رؤيته الله سبحانه وتعالى فقد حدث مرة واحدة ورواها القران مرة واحدة
٤. يروي مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة : رد الرسل على أممهم فقد كان رد واحد على لسان كل رسول لكنه حدث أكثر من مرة

اختراق الزمن

ولكي نرى التعامل مع الزمن في القصة القرآنية بشكل واضح سنأخذ مثال تطبيقي على ذلك قصة صاحب الجنتين في سور الكهف يقول الله سبحانه وتعالى((وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً{٣٢} كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً{٣٣} وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً{٣٤} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً{٣٥} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً{٣٦} قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً{٣٧} لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً{٣٨} وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً{٣٩} فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً{٤٠} أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً{٤١} وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً{٤٢}

نلاحظ ان الزمن هنا كالتالي :-

١. الماضي البعيد .....مراحل خلق الرجل الكافر
٢. الماضي القريب.....إغداق النعم عليه
٣. الحاضر.....الحوار مع صاحبه
٤. المستقبل.....خاتمة الرجل الكافر

لكن الترتيب في القصة جاء على النحو التالي :

نلاحظ ذلك في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف كالتالي :-

جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ (ماضي قريب) فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ(حـاضر) خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ (ماضي بعيد) قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ(حـاضر) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ (مسـتقبل).

هذا التخلخل في الزمن يجعل حتى في بنية الزمن التقليدي في القصة القرآنية نموذجا فريدا في الصناعة...

المراجع:-

١. خصائص السرد القصصي في القرآن الكريم/ أ.د. محمد مشرف يوسف خضر/ مجة حراء العدد ٦ يناير –مارس ٢٠٠٧
٢. الاشارة الجمالية في المثل القراني /د. عشتار داود محمد / موقع القصة السورية ٢٠٠٦/٣/١٠
٣. التقاء الأدوات الفنية بين القص القرآني والقصة الحديثة/ نجاح سراج /مجلة القصب/العدد٢ ١٩٩٨/١م
٤. الزمن النفسي في القران الكريم/ محمد بن موسى بابا عمي عن موقع الموسوعة الاسلامية
٥. فهوم الزمن في القران الكريم /محمد بن موسى بابا عمي عن موقع الموسوعة الاسلامية
٦. التعبير القراني / د.فاضل صالح السامرائي
٧. لمسات بيانية / د.فاضل صالح السامرائي

***

المكان في القصة القرآنية

مثلما الزمن ركن أساسي في القصة فالمكان كذلك لاكتمال الصورة وان كان يغلب اسم (الحيز) بدلا من المكان- باعتبار ان تماهي المكان التقليدي في القصة الحديثة – فان الحيز هو المسرح الذي تجري فيه الأحداث ويتحرك عليه أشخاص القصة وتعمل أدوات اللغة من خلال تكثيفها على عرض ووصف هذا الحيز أو المكان ، وينقسم الحيز إلى نوعين هما :-

١/ الحيز الجغرافي

هو المسرح المقيد بالحدود الجغرافية بربطه باسم تلك المنطقة بعينها مما يعطي بعدا تاريخيا أيضا يجعل الكاتب لا يستطيع ان يتجاوز ذلك بل هو مقيد بالعادات والتقاليد والظلال والظروف التي تحتمها جغرافية المكان وتاريخيته على الأشخاص والأحداث ضمن تلك المنطقة لكنها في الوقت نفسه تعطي للمتلقي واقعية شديدة عن أبطال القصة وأحداثها في القصة ولعل في بعض روايات نجيب محفوظ اكبر دليل مثل (زقاق المدق) و(خان الخليلي) وغيرها..

٢/ الحيز الخلفي أو المفتوح

هو المكان أو الحيز الغير محصور بحدود جغرافية بل واسع المدلول بحيث تقوم اللغة من خلال مفرداتها بعرضه وتصويره بعبارات وألفاظ عامة كالطريق والجبل والبيت ....الخ ونلاحظ هنا تماهي هذا المكان أو الحيز فكأنه ديكور هلامي لمسرح متحرك في كل موقف وهذا يعطي للشخصيات الحرية في التحرك دون قيود من حيز المكان ولا التاريخ ولا شيء اللهم إشارات وإيحاءات اللغة وحدها وصراع الأحداث المتنامية...

والسؤال اين موقع المكان او الحيز في القصة القرآنية ؟

الغالب على القصص القرآنية هو إبهام المكان فلم يذكر اسم المكان الا اذا كانت هناك حاجة له ويخدم هدف القصة الذي هو هدف السورة المتواجد فيها ذلك المقطع من القصة ، ويجب ان نشير الى ملاحظة هامة هي ان القصة القرآنية ليس هدفها سرد التاريخ والحدث التاريخي على هيئته بل توظف ذلك الحدث التاريخي فيما يخدم هدف الدعوة لذلك أرى ان البحث الطائل الذي عقده مفسرونا العظام - رحمهم الله جميعا – حول اين مكان كهف فتية اهل الكهف او سفينة نوح او غيرها – والله اعلم- انه لا يخدم القصة القرآنية ولا القران ولا المتلقي في شيء بقدر

ما يصرفه عن المطلوب من القصة القرآنية (العظة والعبرة) ولو كان اسم المكان او الشخصية او أي شيء آخر مهما لأورده القرآن كما أورد بعضا من ذلك ..

اسم المكان في القصة القرآنية على نوعين مكان خلفي مفتوح مبهم (كالقرية / المدينة/ ..الخ) (وهو الغالب) وآخر مخصوص جغرافيا مثل (مدين / مصر (الغير منونة)/ الجودي....الخ).

حيث يلعب الاسم المبهم في إضفاء العمومية على الحدث ففي قوله تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (النحل ١١٢) رغم ان المفسرين مجموعون على ان القرية التي نزلت فيها هذه الاية هي مكة الا ان الحكم فيه ينطبق على كل قرية تكفر بأنعم ربها سواء كانت مكة او غيرها فهي تدخل في عموم اللفظ لا خصوص السبب ولم ترتبط باسم مكة بذاتها ،إلى جانب ان عبارة (ضرب الله مثلا) تجعلها في عموميتها بما نعرف من عمومية المثل لا خصوصيته سواء ذُكر اسم مكة او أبهم .

ومثل ذلك أصحاب القرية في سورة يس والأماكن في قصة العبد الصالح مع موسى(ع) في سورة الكهف (القرية /الجدار / السفينة...الخ) وهنا سؤال لماذا في قصة العبد الصالح مع موسى(ع) قال القران (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (الكهف ٧٧) هنا (قرية) ولما وضّح قال(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ (الكهف٨٢) قال هنا (المدينة) ؟ ما الفرق بين القرية والمدينة هنا ؟

نبدأ بالإجابة عن سؤالنا السابق الفرق بين (القرية) و(المدينة) في قصة العبد الصالح مع موسى(ع) والغلامين صاحبي الجدار؟ في اللغة : إذا اتّسعت القرية تُسمى مدينة ، والقرية قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة ، لما أستطعم كلا من موسى(ع) والعبد الصالح أهل القرية فأبوا ضيافتهما فكأنهما جالا فيها كلها حتى بلغا أقصاها وهنا بداية المدينة حيث الجدار الذي تركه الأب الصالح للغلامين اليتيمين بعيدا عن متناول أهل القرية اللئام ، ومشابه له في سورة يس وردت الكلمتان (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) و (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(٢٠) أي أن الرسل جدّوا في التبليغ حتى وصل التبليغ إلى أبعد نقطة فيها وهي بداية المدينة فجاء قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) أي أن هذا الرجل جاء يحمل همّ الدعوة والتبليغ التي وصلته وقد أفاد لفظة (يسعى) هذا الاتساع للقرية والله اعلم. وسؤال آخر حول لفظة (مصر) في القرآن هل هي دولة مصر اليوم ام مصر التي من الأمصار أي الأقاليم ؟ يقول الإمام الشعراوي – رحمه الله تعالى – (نلاحظ أن مصر حينما يقصد بها وادي النيل لا تأتي أبدا منونة و اقرأ قوله تعالى (تَبَوَّءَا

لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً(يونس ٨٧) وقوله جل جلاله (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وهذه الأنهار تَجْرِي مِن تحتي (الزخرف ٥١) وقوله سبحانه (وَقَالَ الذي اشتراه مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ (يوسف ٢١) وقوله تبارك وتعالى (ادخلوا مِصْرَ إن شَآءَ الله آمِنِينَ (يوسف ٩٩)

كلمة مصر ذكرت في الآيات الأربع السابقة بغير تنوين . . ولكن في الآية التي نحن بصددها (اهبطوا مِصْراً (البقرة٦١) بالتنوين، هل مصر هذه هي مصر الواردة في الآيات المشار إليها؟

. . نقول لا . . لأن الشيء الممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث إذا كان لبقعة أو مكان مرة تلحظ أنه بقعة فيبقى مؤنثاً ومرة تلحظ أنه مكان فيكون مذكرا فإن كان بقعة فهو علم ممنوع من الصرف . . وإن كان مكانا تكون فيه علمية وليس فيه تأنيث ومرة تكون هناك علمية وأهمية ولكن الله صرفها في القرآن الكريم كلمات نوح ولوط وشعيب ومحمد وهود ، كل هذه الأسماء كان مفروضا أن تمنع من الصرف ولكنها صرفت فقيل في القرآن الكريم نوحا ولوط و شعيبا ومحمدا وهودا . . إذن فهل من الممكن أن تكون مصر التي جاءت في قوله تعالى (اهبطوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ) هي مصر التي عاشوا فيها وسط حكم فرعون من الممكن أن يكون المعنى أي مصر من الأمصار وكلمة مصر تطلق على كل مكان له مفتي وأمير وقاض وهي مأخوذة من الاقتطاع لأنه مكان يقطع امتداد الأرض الخلاء ويخلص الشعراوي إلى ان (الثابت في القرآن الكريم إن مصر التي لم تنون هي علم على مصر التي نعيش فيها أما مصراً التي خضعت للتنوين فهي تعني كل وادٍ فيه زرع) .. وهذا كله يصب في الأماكن ذات الطبيعة الجغرافية مما يؤيد ان القرآن لم يذكر الأماكن بأسمائها لندور في تفسيراتنا حول تساؤلات تخرجنا عن قصد وهدف القرآن الكريم وهو العظة والعبرة والدور الذي يلعبه هذا الاسم في القصة وليس البحث عن جغرافية التاريخ فنلاحظ في قصة موسى (ع) في اغلب مقاطعها ذكرا صريحا لمنطقة (مدين) التي فر إليها كما قوله (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (القصص٢٢-٢٣) و قوله تعالى (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (طه٤٠) فلماذا هذا التصريح؟

نلاحظ في ذكر (مدين) اسم المنطقة التي توجه إليها موسى(ع) دور في تغير مسار قصة موسى (ع) كيف ذلك؟

هرب موسى(ع) من مصر خائفا يترقب من بطش فرعون بعد قتل القبطي فلما كان في مدين وكان ما كان من موقفه مع ابنتي شعيب في سقي الماء حتى وصل إلى بيت شعيب ليجزيه اجر ذلك تغيرت محور القصة فبعد أن قصّ القصص على شعيب أمنّه هذا الأخير كما ذكر القرآن

(فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (القصص٢٥) وذكر أكثر المفسرين في معنى النجاة من القوم الظالمين قول شعيب(فقد خرجتَ من مملكتهم فلا حُكْم لهم في بلادنا) فلو لم يذكر القرآن اسم (مدين) صراحة وذكر اسما مبهما لما وقر في ذهن المتلقي ان (مدين) خارج سلطة فرعون موسى إلى جانب انه مكث فيها عشر حجج أي عشر سنوات وهو عليه ذنب لدى حكومة فرعون فلو كنت (مدين) تحت حكمهم لطالت أيديهم موسى(ع) خلال هذه المدة الطويلة لكن هذا لم يحدث تحقيقا لمقولة القرآن على لسان شعيب (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) حتى عاد موسى(ع) إلى مصر بعد انتهاء خدمته لدى شعيب وفي طريق عودته كانت النبوة في أماكن ذكرت هي الأخرى بأسمائها مثل الوادي المقدس طوى وجبل الطور .

ونرى ان القرآن يحشد اللغة في تصوير مكان الحدث إذا أراد للمتلقي ان يهتم بالمكان بذاته أو ان المكان يلعب دورا محوريا في القصة مثل الكهف في قصة أصحاب الكهف (ذكر الكهف ست مرات) فالقرآن بدأ سرد القصة من الكهف واختتمها به لذا صوّر الكهف بدقة من حيث الظواهر الطبيعية التي حوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ (الكهف١٧) وموقع الفتية منه (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) ومواطن حركتهم فيه (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ (الكهف١٨) وحتى كلبهم ركّز القرآن على موقعه (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) ليصل القرآن إلى بلوغ الذروة في تصوير المكان في قوله تعالى (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) هذه الصور المكانية- ان صح التعبير- تمثل تصوير دقيق تُري المتلقي (ديكور) مسرح الأحداث لهذه القصة العجيبة فيلعب المكان وتصويره دورا مركزيا في نقل الموقف دون حركات كثيرة من الشخصيات ولا حوار إلى جانب جعل المتلقي كأنه مشاهد حاضر لتلك الأحداث سواء كان ذلك المتلقي هو النبي (ص) أو أي قارئ للقران الكريم ونلاحظ التركيز على ضمير المخاطب في (وترى الشمس/ تحسبهم/ لو اطلعت / لوليت/ ولملئت) لتحقيق هذا الحضور للمتلقي .

والتصريح باسم مكان مثل(الجودي) الجبل الذي رست عليه سفينة نوح(ع) كقصد من القرآن – والله اعلم – على اسم هذا الجبل ليكن نقطة انتهاء القصة أو انتهاء العذاب لقوم نوح فلو ذكر اسما مفتوحا لموضع استقرار السفينة لم يعط للمتلقي هذه الظلال المنبعثة من ذكر الاسم صراحة إلى جانب ان استقرار السفينة في نهاية المطاف على جبل – وهذا خلاف الوضع الطبيعي لاستقرار أي سفينة على شاطئ – يدعم قوله تعالى (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ(هود٤٢) فأمواج تعلو كالجبال هي من المنطق تستطيع ان تحمل السفينة على الاستواء في نهاية المطاف على جبل ! وكذلك ما نقرأه في قوله تعالى- على لسان ابن نوح -

(قالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ (هود٤٣))
فلما قال ابن نوح (جبل) - مكان مفتوح- فكان استواء السفينة على مكان مفتوح مثله (جبل) تقع التوهم لدى المتلقي حول هذا الجبل العاصم لذا كان التخصيص في ذكر اسم الجودي أجمل و الإيحاء انه جبل ايضا.

والله اعلم

***

شخصيات القصة القرآنية

وردت أنواع من الشخصيات في القصص القرآنية ويمكن ان نعددها في الآتي :-

١/ الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم وهم النصيب الأكبر

٢/ شخصيات مجهولة في التاريخ تم ذكرهم كأصحاب الجنة أو ذي القرنين أو غيرهم

٣/ شخصيات غير إنسانية كالهدهد و النملة أو الجن في قصة سليمان (ع) وهو ما انفرد به القرآن الكريم

والشخصية في القصة تنقسم إلى نوعين:-

١/ شخصية أو شخصيات أساسية أو محورية تدور حولها اغلب أحداث القصة

٢/ شخصيات ثانوية تظهر في بعض مقاطع القصة وتقوم بدور في دفع عجلة الصراع في القصة إلى نقطة العقدة .

ونلاحظ ان الإبهام هو الأمر الطاغي على الشخصية في القرآن الكريم فنادرا ما يذكر شخصية باسمها لكن يغلب عليها لقبها أو كنيتها ويعلل لذلك الشيخ الشعراوي قائلا ان القصص القرآني لو حددها بشخصيات معينة لقيل : إنّ القصص لا يمكن أن تحدث إلا على يد هذه الشخصيات؛ لأنها فلتات في الكون لا تتكرر .إن الله حين يبهم في قصة ما عناصر الزمان والمكان والأشخاص وعمومية الأمكنة إنه ـ سبحانه ـ يعطي لها حياة في كل زمان وفي كل مكان وحياة مع كل شخص ، ولا يستطيع أحد أن يقول : إنها مشخصة . ولذلك إذا أراد الحق أن يبهم فقد أبهم ليعمم ، وإن أراد أن يحدد فهو يشخّص ومثال ذلك قوله تعالى : { ضَرَبَ الله مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امرأت نُوحٍ وامرأت لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ الله شَيْئاً وَقِيلَ ادخلا النار مَعَ الداخلين } [التحريم : ١٠]

لم يحدد الحق هنا اسم أي امرأة من هاتين المرأتين ، بل ذكر فقط الأمر المهم وهو أن كلا منهما كانت زوجة لرسول كريم ، ومع ذلك لم يستطع نوح عليه السلام أن يستلب العقيدة الكافرة من زوجته ، ولم يستطع لوط عليه السلام أن يستلب العقيدة الكافرة من زوجته ، بل كانت كل من المرأتين تتآمر ضد زوجها ـ وهو الرسول ـ مع قومها ، لذلك كان مصير كل منهما النار ، والعبرة من القصة أن اختيار العقيدة هو أمر متروك للإنسان ، فحرية العقيدة أساس واضح من أسس المنهج .

وأيضا قال سبحانه في امرأة فرعون : { وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امرأت فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابن لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجنة وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القوم الظالمين } [التحريم : ١١]

لم يذكر اسمها؛ لأنه لم يهمنا في المسألة المهم أنها امرأة من ادعى الألوهية ، ومع ذلك لم يستطع أن يقنع امرأته بأنه إله . لكن حينما أراد أن يشخص قال في مريم عليها السلام : { وَمَرْيَمَ ابنت عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القانتين } [التحريم : ١٢]

لقد ذكرها الحق وذكر اسم والدها ، لأنها معجزة لن تتكرر ، ولذلك عرفها الله لنا فقال « مريم ابنة عمران » وقال « عيسى بن مريم » حتى لا يلتبس الأمر ، وتدعي أي امرأة أنها حملت بدون رجل - مثل مريم- نقول : لا . معجزة مريم لن تتكرر ولذلك حددها الله تعالى بالاسم فقال : عيسى بن مريم . ومريم ابنة عمران .

و في رواية قصص الأشخاص – سواء أنبياء أو غيرهم- العبرة في القصص القرآني لأنها تنقل لنا أحداثا في التاريخ تتكرر على مر الزمن ، ففرعون مثلا هو كل حاكم يريد أن يُعْبَدَ في الأرض ، وأهل الكهف مثلا هي قصة كل فئة مؤمنة هربت من طغيان الكفر و انعزلت لتعبد الله ، وقصة يوسف عليه السلام هي قصة كل أخوة نزغ الشيطان بينهم فجعلهم يحقدون على بعضهم ، وقصة ذي القرنين هي قصة كل حاكم مصلح أعطاه الله سبحانه الأسباب في الدنيا ومكنه في الأرض فعمل بمنهج الله وبما يرضي الله ، وقصة صالح هي قصة كل قوم طلبوا معجزة من الله فحققها لهم فكفروا بها وهكذا ...

قد يلوح تساؤل عن وظيفة الشخصية في القصة القرآنية ؟ والجواب: تعمل الشخصية– أيا كانت- في القرآن على تقديم النموذج المجسد للخير أو الشر بأوضح صورة فتتحرك الشخصية مع أحداث القصة الموضوعة فيها فتتفاعل وتنمو وتتجسد كشكل مرئي أمام المتلقي لا مجرد خبر يسمعه عنها ونلاحظ تركيز القرآن عليها مادامت في بؤرة الأحداث فإذا خرجت منها انتهى ذكرها في ذلك الموضع والأعجب من ذلك ان القرآن يعلل سلوك تلك الشخصيات في تفاعلها مع أحداث الصراع فلا تصرّف بدون تعليل والهدف من ذلك الإقناع بالحدث والاقتناع به ويشهد لذلك قصة هابيل وقابيل حيث علل القرآن سبب قتل قابيل لهابيل فقال (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (المائدة٣٠) ومن ذلك أيضا قتل موسى(ع) للقبطي فقال (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (القصص١٥) وحتى في قصة إبليس مع ادم (ع) علل القرآن سبب عدم سجود إبليس لادم (ع) فقال (قَالَ أَنَا

خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (الاعراف١٢) وذكر هذا التعليل بألفاظ مشابهة مراعاة للسورة التي فيها ذلك المقطع .

وتهتم القصة القرآنية بالبعد الشكلي للشخصية إذا كان الهدف من القصة هو التأثير بالشخصية نفسها لا بالحدث الذي وضعت فيه ولعل في شخصيات الأنبياء عليهم السلام اكبر دليل على ذلك فكان التعليق على أخلاقهم وأسلوب تعاملهم مع أقوامهم والاهتمام بالبعد الشكلي يشمل حتى الصالحين من شخصيات القصص القرآني غير الأنبياء مثل العبد الصالح مع موسى(ع) أو لقمان مع ابنه وغيرهم..

أما التنوع في ذكر أسماء النبي الواحد ليلاءم السياق الذي ذكر فيه الاسم ومن ذلك سيدنا عيسى (ع) فقد ذكر باسم عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم فلماذا؟ يجيب الدكتور السامرائي قائلا : اسم المسيح: يدخل فيه المسيح و المسيح عيسى ابن مريم و المسيح ابن مريم (لقبه) و عيسى: يدخل فيه: عيسى ابن مريم وعيسى (أسمه) أما ابن مريم (كُنيته) فحيث ما ورد المسيح في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البينات أبداً ولم ترد في التكليف وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) المائدة) وكذلك ابن مريم لم تأتي مطلقاً بالتكليف (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) المؤمنون) أما (عيسى) في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) المائدة) (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مريم) ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ (عيسى) (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) الزخرف) ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح،إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الثناء أيضاً فكلمة عيسى عامة أما المسيح ليس اسماً ولكنه لقب وعيسى اسم وابن مريم كنيته واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم والمسيح معناها المبارك.

***

التاريخ في القرآن الكريم

إن القرآن أعطى للتاريخ مساحة واسعة فكم من مرة ذكر قصص التاريخ ووقائع القرون الماضية وسنن الهلاك وعاقبة الذين لا يعتبرون بالتاريخ ولا يصدقون أن في التاريخ وأحداث القرون عبرة وعظة فما موقع التاريخ في القصة القرآنية ؟ يقول الدكتور /عماد الدين خليل:هنالك ثلاثة مستويات في تعامل القرآن مع التاريخ، المستوى الأول السرد التاريخي للوقائع وهذا يغطي مساحات كبيرة من القرآن قد تتجاوز النصف والمستوى الثاني يذهب إلى ما وراء الحدث لكي يعطينا تصورا عن السنن التي تحرك التاريخ، ما يسميه فلاسفة التاريخ بقوانين الحركة التاريخية، وثمة طبقة ثالثة تحدثنا عن الجانب الحضاري، عن القوة المؤثرة التي تصنع الحضارات والأمم والدول والإمبراطوريات أو تقودها إلى الانكماش والسقوط. والوقائع التاريخية في القرآن الكريم يتم التعامل معها بشكل مرشد ومجتزئ، فلا يتناول القصة القرآنية بشكل تفصيلي وذلك لأن القرآن ليس كتاب تاريخ في نهاية الأمر، فعلى ما في القرآن من مساحات واسعة أعطيت للتاريخ فهو ليس كتاب تاريخ، بمعنى أنه لا يحاول أن يغطي الأحداث بكل تفاصيلها وإنما يجتزئ من هذه الأحداث الخطوط العريضة التي يمكن أن تستخلص منها العبرة أو المغزى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ..} أي لذوي العقول القديرة على استخلاص المغزى من قراءتها للتاريخ {..مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[يوسف:١١١] فكأن قراءة التاريخ تعطينا المغزى وتعطينا التعاليم التي ترحم الأمم والشعوب من أن تقع في مخاطر جديدة وتنزلق باتجاه ما انزلقت إليه الأمم الأخرى، والقرآن الكريم بمنحه هذه المساحات الكبيرة للتاريخ لكنه يمضي إلى ما وراء الزمن وما وراء المكان وما وراء الشخوص انه يمضي إلى الواقعة التاريخية في خلاصاتها الأساسية من أجل أن نستخلص منها العبرة والمغزى التي تضيء لنا الطريق في اللحظات الراهنة إلى المستقبل الموعود.

ويستشهد القرآن ببعض الوقائع التاريخية ويجعل بعضا من تلك الأحداث التاريخية دليلا على صدق القرآن أو النص القرآني على سبيل المثال فرعون الذي أغرق في ملاحقته لموسى (ع) في البحر وهو الذي أشار القرآن الكريم إلى أنه سيجعله آية لمن خلفه {..لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً..}[يونس:٩٢] تبين من خلال الدراسات التاريخية أن رمسيس هذا هو نفسه الذي أغرق

في زمن موسى (ع) ولا يزال جسده المحنط موجودا في متحف مصر للآثار القديمة، ومثال آخر عندما يقول القرآن {غُلِبَتِ الرُّومُ}[الروم:٢] في العصر المكي والمسلمون كانوا مضطهدين تلاحقهم الوثنية من كل مكان {غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ..}[الروم:٢- ٥] هذا وعد تاريخي في أن حدث ما سيقع بعد بضع سنين يعني كما يقول الدارسون سبع إلى تسع سنوات وكان المسلمون قد حزنوا لهزيمة البيزنطيين النصارى باعتبارهم أهل الكتاب على يد الوثنيين الفرس فوعدهم القرآن بأن النصر آت قريبا لا ريب فيه، وفعلا بعد سبع سنوات استطاعت الدولة البيزنطية زمن هرقل أن تضرب الفرس ضربة في الجزيرة الفراتية قريبة من الموصل ضربة قاصمة كادت أن تكسر عمودهم الفقري فجاء القرآن الكريم بوعده الصادق مطابقا للمعطى التاريخي، و كذلك في سورة يوسف لا يرد اسم فرعون على الإطلاق لأن يوسف ظهر في الفترة الهكسوسية التي حكم فيها الهكسوس مصر وأخرجوا الفراعنة دفعوهم إلى بلاد النوبة وسيطروا على مقدرات مصر وشكلوا مملكة فالذي كان يحكم مصر آنذاك كان يسمى ملكا وليس فرعونا فسنجد اسم الملك يتردد في سورة يوسف ولا تجد أي أثر لاسم فرعون...

نجد ان القرآن في إيراده القصص لا يريد تاريخية تلك القصص بحذافيرها بقدر ما يهمه العظة والعبرة لكنه لا يغفل تصحيح الخطأ التاريخي ان وجد سواء في مرويات كتب التاريخ أو في الكتب المقدسة السابقة التي انزلت وحدث لها تحريف في ذلك الموضع مع الموافقة على ما جاء فيها إذا كان غير محرفا مصداقا لقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(يوسف١١١) ومن ذلك اسم والد إبراهيم (ع) هل هو آزر ام تارح أو تارخ كما تقول التوراة ؟ يجيب الشعراوي – رحمه الله – قائلا : إن الأبوة تمثل ما هو أصل للفرد؛ فالأب ، والجد ، وجد الجد أب ، وأطلقت الأبوة على المساوي للأب ، مثل العم . وجاء مثل هذا في القرآن حين قال الحق سبحانه : { أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموت إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إلهك وإله آبَائِكَ } [البقرة : ١٣٣] .

فبعض من العلماء قال : هل كان آزر أباً لإبراهيم؛ والحديث الشريف يقول : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » . فكأن النبي (ص) أخبر أنه من سلسلة نسب مُوَحِّد لا يمكن أن يكون للشرك فيه مجال ، وآزر كان مشركاً ، وما دام الحق يقول في آية أخرى : { إِنَّمَا المشركون نَجَسٌ } . فلو أن آزر

الوالد الحقيقي لإبراهيم لكان سيدنا محمد (ص) من ذريته ، وأرى أنه عمّه؛ لأن الرسول (ص) قال (ما زلت أتنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات)، وهو قول يدل على أن نسبة الشريف مطهر من الشرك من جهة الآباء ومن جهة الأمهات ، إذن فلا يصح أن نعتقد أن أبا إبراهيم هو آزر ومن ناحية اللغة فالقرآن صريح في أن الأبوة كما تطلق على الوالد الحقيقي الذي ينحدر الولد من صلبه تطلق كذلك على أخي الوالد أو عمه .والدليل على ذلك أن القرآن الذي قال : { لأبيهِ آزَرَ } وهو بعينه القرآن الذي قال : { أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموت إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إلهك وإله آبَائِكَ } [البقرة : ١٣٣] .

إذن آباء هي جمع أب ، وأقل الجمع ثلاثة : إبراهيم إذن وكذلك العم إسماعيل يطلق على كل منهما أب ، وأيضاً إسحاق وهو والد يعقوب ، هؤلاء هم الآباء المذكورون في هذه الآية .

وهنا نفهم أن أبوة إسماعيل ليعقوب إنما هي أبوة عمومة؛ لأن يعقوب بن إسحاق ، وإسحاق أخو إسماعيل . إذن فقد أطلق الأب وأريد به العم ، ويدلنا الرسول (ص)على ذلك حينما أخِذَ عمه العباس أسيراً فقال : ردوا عليّ أبي؛ وأراد عمّه العباس .

وبعد ذلك نأتي لنقول : إننا حين نطلق كلمة الأب في أعرافنا نعلم أن اللغة التي نتكلمها لغة منقولة بالسماع ، مركوزة في آذاننا ، ينطق بها لساننا ، والعامية وإن كانت تحرف الفصيح إلا أن أصولها منقولة عن أسلافنا وآبائنا ، وهم حين يريدون الأب الحقيقي يقولون له أب ولا يأتون باسمه الشخصي؛ فإذا جاء لك إنسان وقال لك : أبوك موجود؟ . ولم ينطق باسم الوالد فهو يقصد والدك فعلاً . لكن افرض أن لك عَمّاً ، فيقول لك السائل : أبوك محمد موجود؟

لقد جاء هنا بتحديد الاسم العلم حتى ينصرف الذهن إلى السؤال عن العم؛ لأنه لو أراد الأب الحقيقي لما ذكر اسمه واكتفى بالسؤال عنه بالأبوة فقط إذن فلو قال الحق سبحانه وتعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ } . ولم يحدد العلم لقلنا إن آزر هو والد إبراهيم وليس عمّه وبذلك يكون هو جد رسولنا ، ولكن القرآن حدد الاسم وقال : { لأبيهِ آزَرَ } أي ميّز اسم الشخص ليخرج الأب الحقيقي من كلمة أب ، فعلى ذلك فآزر ليس أبا لإبراهيم (ع) وهذا يوافق كلام التوراة.

***

نظرات في قصة عيسى عليه السلام

... تعتبر قصة عيسى عليه السلام من القصص البارزة في القرآن الكريم اذ افرد القرآن سورتين لحيثيات هذه القصة هما سورة آل عمران وسورة مريم ..وناقش فيهما وفي سور أخرى لقطات من هذه القصة لنبي عظيم نبي اختلف فيه وظل الاختلاف بين الديانات السماوية الثلاث – اليهودية والمسيحية والاسلام – حتى الآن ، لكن القرآن وضّح مواطن هذه الاختلافات كلها باسلوبه الفخم وبجلاء لابراز حقيقة قصة السيد المسيح عليه السلام ، واضفى على هذه لقصة خصوصية مميزة عن قصص الرسل والانبياء الاخرين فما هي هذه الخصوصية ؟ ولماذا؟ وكيف عبّر القرآن الكريم عنها ؟ هذا ما سأحاول عرضه في هذه النظرات ...

عيسى والتوحيد الاعظم

ان المعتقد المسيحي اليوم في امر عيسى عليه السلام انه الثالوث المقدّس أو ابن الله – كما يقولون تعالى الله عن هذا علوا كبيرا لأن " كل عقيدة توحيدية تطرح نقطة تقاطع بين الخالق والمخلوق فكانت المسيحية ان جعلت نقطة التقاطع هي شخص المسيح، اللوجوس [أي الكلمة]، ابن الإله، الذي ينزل إلى الأرض ليفدي البشر بدمه وهذا هو التجسد incarnation، مما أدى إلى ظهور إشكالية جوهرية، لأنه حين نزل ابن الإله إلى الأرض وتحول اللاهوت إلى ناسوت، والإلهي إلى إنساني فإنه بذلك دخل في إطار الزمان الدنيوي المادي واقتحم التاريخ الإنساني، فتداخل التاريخ المقدس بالتاريخ الزمني. وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تحل هذه الإشكالية بأن جعلت الحلول يتركز في فرد واحد وليس فى جماعة بشرية هو المسيح، وهو حلول انتهى بالصلب وصعود المسيح وعودته إلى أبيه في السماء. "(١) فكانت هذه الامور ان انحرفت بالناس عن روح التوحيد الخالص لله عز وجل الذي هو هدف كل النبوءات على امتداد التاريخ مصداقا لقوله تعالى:-(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[الانبياء :٢٥] ، فكان من واجب القران ان يدحض هذه (المزاعم) باياته الواضحة فكانت قصة عيسى عليه السلام ..لذلك استخدم القرآن اسلوبين وهما:- اولا: الاسلوب التقرير المباشر من خلال الايات العديدة التي تحض على التوحيد الخالص في القرآن الكريم كاملا

والتأكيد على انتفاء الصاحبة والولد عن المولى عز وجل ومن ثم التأكيد على (بشرية) الانبياء والمرسلين - عليهم السلام – واقرأ معي :-

- (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) [البقرة:١١٦]
- (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [يونس :٦٨]
- (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) [الجن :٣]

وغيرها من الايات التي تتوجها سورة التوحيد الاعظم سورة الاخلاص..

اما في قصة عيسى فاستخدم القرآن الاسلوب ذاته في قوله تعالى :-(قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [المائدة :١٧] وقوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المائدة:٧٣] ، فهو في اية أخرى يؤكد على بشرية المسيح عيه السلام فيقول (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المائدة : ٧٥] هنا ضرب مثلا لما تحتاجه البشرية من امور حياتية لعل ي ابسطها الطعام جاء في تفسير الرازي " واعلم أن المقصود من ذلك : الاستدلال على فساد قول النصارى ، وبيانه من وجوه : الأول : أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلها ، والثاني : أنهما كانا محتاجين ، لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة ، والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء ، فكيف يعقل أن يكون إلها . الثالث : قال بعضهم : إن قوله { كَانَا يَأْكُلاَنِ الطعام } كناية عن الحدث لأن من أكل الطعام فإنه لا بدّ وأن يحدث ، وهذا عندي ضعيف من وجوه : الأول : أنه ليس كل من أكل أحدث ، فإن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون . الثاني : أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام ، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله ، فأي حاجة بنا إلى جعله كناية عن شيء آخر . الثالث : أن الإله هو القادر على الخلق والايجاد ، فلو كان إلها لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب ، فما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلها للعالمين ، وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل ."(٢)

وكذلك من خلال الحوار الذي عرضه القرآن في اواخر سورة المائدة حيث يقول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة : ١١٦-١١٩] ففي ثنايا الحوار توضيح عقلاني لموضوع الوحدانية العبودية...

الأسلوب الآخر

اما الاسلوب الآخر الذي استخدمه القرآن يتمثل في ادوار القصة نفسها اذ نلاحظ ان قصة عيسى عليه السلام تفردت عن غيرها من القصص القرنية ان بداياتها لم ترافق ظهور الرسول أو النبي (وهو هنا عيسى) كما هو المعتاد في القصة القرآنية للرسل عليه السلام اذ ان القصص الاخرى تبدأ من لحظة الدعوة لاقوام الرسل ويدخل الرسول أو النبي تحت اضاءة السرد في القصة القرآنية في تلك اللحظات – لحظات دعوته لقومه – دون التطرق إلى ماضي الرسول ونسبه بل التركيز على مراحل الدعوة فقط..

ما عدا قصة عيسى عليه السلام التي بدأت منذ زمن بعيد بدأت بالاصطفاء الالهي لآدم ونوح وال ابراهيم وال عمران على العالمين ومن ثم تتطرق القصة بالتفصيل إلى ملابسات نذر امرأة عمران وثم بدايات مريم عليها السلام وكفالة زكريا عليه السلام لها كل هذا فصلته سورة آل عمران وتفصل سورة مريم قصة مريم حتى لحظات ولادتها بالسيد المسيح عليه السلام ومعجزته الأولى في المهد ..

كل هذا (التمهيد) لظهور عيسى عليه السلام لهو دليل (مادي) ملموس وردا قاطعا لأولئك القائلين بإلوهية عيسى أو انه ابن الله ، فالإسهاب القرآني للبدايات كأنه يدوّن (نسب) عيسى عليه السلام بكل التفاصيل من آدم حتى الوفاة، ولن نجد مثل هذا التفصيل المسبق لنسب رسول أو نبي في قصة أخرى من قصص الانبياء عليهم السلام إذا استثنينا ادم عليه السلام لما سنعرف لاحقا..فحتى قصة موسى عليه السلام – رغم كثرة ورودها في القرآن- لم تفصّل في نسبه بمثل هذا التفصيل..

ويصر القرآن في اغلب مواضع ذكر قصة عيسى عليه السلام على تريد (عيسى بن مريم) كنفي قاطع لما زعموه ولا مثل له في الأنبياء والرسل الآخرين أيضا ...

المثلية مع آدم

القصة المشابه لقصة عيسى عليه السلام - في التفصيل المسبق – هي قصة آدم عيه السلام ،فأبونا آدم لم تبد قصته من لحظة خلقه أو نفخ الروح فيه بل كانت لها مقدمات اوردتها سورة البقرة خاصة في حوار الله مع الملائكة عن المخلوق القادم – خليفة الأرض- وتساؤلات الملائكة ومن ثم جاءت (لقطة) الخلق والاختبار والسجود وما تلاها من احداث فهل تماثل قصة آدم قصة عيسى في هذا فقط ؟

ان الاية التي جمعت الاثنين في قوله تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [آل عمران :٥٩] فهذه الاية جاءت في محضر رد النبي – عليه الصلاة والسلام – لنصارى نجران اذ " قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا ؟ قال: (من صاحبكم) ؟ قالوا: عيسى ابن مريم تزعم انه عبد.

قال: (أجل انه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها الى مريم وروح منه).

فغضبوا وقالوا: لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب ؟.

فأنزل الله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)) [المائدة :١٧٥] وأنزل الله تعالى: (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) [آل عمران:٥٩] "(٣)

لكن فيها (مثلية) أخرى يشير اليها المهندس / عبدالدائم الكحيل فيقول " بل هناك تماثل في ذكر كل منهما في القرآن. فلو بحثنا عن كلمة (عيسى) في القرآن نجد أنها تكررت بالضبط ٢٥ مرة، ولو بحثنا عن كلمة (آدم) في القرآن لوجدنا أنها تتكرر ٢٥ مرة أيضاً " (٤) وليس هذا فقط بل " أن الآية التي اجتمع فيها الاسمان هي الآية السابعة في ترتيب الآيات التي ذكر فيها (آدم) وكذلك هي الآية السابعة في الآيات التي ذكر فيها (عيسى) "(٥)

قصة ميلاد عيسى

وفي قصة ميلاد عيسى عليه السلام لمحة جميلة في لحوار الذي دار بين السيدة مريم عليها السلام والسيد المسيح اذ يقول الله تعالى :(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ

الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) [مريم : ٢٤- ٢٦] فكأن الحوار (تدريب) مسبق للسيدة مريم اذ ما واجهت قومها وطلبت احالة الامر على الطفل الذي في المهد فيكون طلبها ساعتها عن اطمئنان بكونه عليه السلام سيتحدث معهم مثل تحدثه معها في تلك اللحظات الحرجة ..وهنا احب ان اشير إلى ان لفظة (سريا) قد ذهب بعض المفسرين لاعتبارها اسم من اسماء النهر لان الايات التي بعدها تقول (فكلي واشربي) فالاكل سيكون من (الرطب) المتساقط فمن اين الشرب؟ فكان المخرج ان تكون سريا للشرب ؟!!

لذا يقول صاحب روح المعاني " كلي من ذلك الرطب واشربي من ذلك السرى"(٦) معتمدين على حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه "إن السري الذي قال الله لمريم: { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا } نهر أخرجه الله لتشرب منه"(٧)..

اقول هذا لا يصح فليس وجود الشرب شرطا ان يذكر القرآن سبب الشرب فالقران يجمع الاكل والشرب دون مصوغ احيانا للاكل أو الشرب واقرأ معي قوله تعالى (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[البقرة : ٦٠] نلاحظ كل مسببات الشرب مع ذلك ذكر الاكل معه بل وقدمه على الشرب فلماذا ؟

لان هذا ديدن القرآن يقدّم الاكل على الشرب دائما أينما اجتمعا والعلة في ذلك ان طلب الاكل اصعب من طلب الشرب يقول الشعراوي رحمه الله تعالى "بدأ بالطعام قبل الشراب ، لماذا؟ لأن الإنسان عادةً يأكل أولاً ، ثم يشرب ، فالماء مع أهميته ، إلا أنه يأتي في العادة بعد الطعام ، فسبحان مَنْ هذا كلامه ."(٨) اما الحديث المعوّل عليه في التفسير هذه الاية وهو"حدثنا أيوب بن نَهيك، سمعت عكرمة مولى ابن عباس يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن السري الذي قال الله لمريم: { قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا } نهر أخرجه الله لتشرب منه" فيقول ابن كثير في نفس الصفحة " وهذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه. وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي قال فيه أبو حاتم الرازي: ضعيف. وقال أبو زُرْعَة: منكر الحديث. وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث." (٩) فالمعنى للسري هو السيد على ذلك ذهب الرازي في تفسيره قائلا " أما الحسن وابن زيد فجعلا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم"(١٠)

اخيرا قد يثور سؤال في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

يجيب الدكتور فاضل السامرائي عن ذلك قائلا " حيث ورد المسيح في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً ولم ترد في التكليف وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة، وكذلك ابن مريم لم تأتي

مطلقاً بالتكليف (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) [المؤمنون: ٥٠] (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [الزخرف:٥٧].

أما عيسى في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) [المائدة :٤٦] (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) [مريم :٣٤] ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ (عيسى) (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) [الزخرف :٦٣] ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح. إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الثناء أيضاً وكلمة عيسى عامة فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب وعيسى اسم أي يسوع وابن مريم كنيته واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته."(١١)

والله اعلم

الهوامش :

١/ الإنسان والتاريخ ، د/ عبدالوهاب المسيري نقلا عن موقعه على النت www.elmessiri.com

٢/ تفسير الرازي ج١٢ ص ٤٠٩

٣/ سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ج٦ ص٤١٧

٤/ إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، المهندس/عبدالدائم الكحيل نقلا عن موقعه على النت www.kaheel7.com

٥/ نفسه

٦/ روح المعاني للالوسي ج١٦ ص ٨٥

٧/ تفسير ابن كثير ج٥ص٢٢٤

٨/ تفسير الشعروي ج١٥ ص ٩٠٦٩ طبعة اخبار اليوم

٩/ تفسير ابن كثير ج ٥ص٢٢٤

١٠/ تفسير الرازي ج٢١ص٥٢٩

١١/ حلقات لمسات بيانية (بتصريف)

***

تساؤلات القصة القرآنية

١. ما الفرق بين القِصص والقَصص ؟

يقول صاحب لسان العرب (القصُّ فعل القاصّ إذا قصَّ القِصَصَ والقصّة معروفة ويقال في رأسه قِصّة يعني الجملة من الكلام ونحوُه قوله تعالى [نحن نَقُصُّ عليك أحسنَ القصص]أي نُبَيّن لك أحسن البيان والقاصّ الذي يأتي بالقِصّة من فصِّها ويقال قصَصْتُ الشيء إذا تتبّعْت أثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى [وقالت لأُخْته قُصّيه] أي اتّبعي أثَرَه) لسان العرب مادة (قصص) ويقول (القِصّة الخبر وهو القصَصُ وقصّ عليّ خبَره يقُصُّه قصّاً وقصَصاً أوْرَدَه والقصَصُ الخبرُ المَقْصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغْلَبَ عليه والقِصَص بكسر القاف جمع القِصّة التي تكتب) لسان العرب مادة (قصص)

٢. ما الفرق بين القصة والحكاية والأسطورة والأحدوثة؟

يقول صاحب الفروق اللغوية (أن القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن سلف ومنه قوله تعالى " نحن نقص عليك أحسن القصص " يوسف٣. وقال " نقص عليك من أنباء الرسل " هود١٢٠ والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ويكون طويلا وقصيرا، ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الامور التي يتلو بعضها بعضا، والحديث يكون عن ذلك وعن غيره) الفروق اللغوية ص٤٣٠

(أسطورة من أساطير الأولين: مما سطّروا من أعاجيب أحاديثهم)أساس البلاغة مادة (سطر) و(يقال سَطَّرَ فلانٌ علينا يُسَطِّرُ إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل يقال هو يُسَطِّرُ ما لا أصل له أي يؤلف) لسان العرب مادة (سطر)

(الأحْدوثةُ : ما يُتَحَدَّثُ به) القاموس المحيط ص٢١٤

جاء في تفسير قوله تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (المومنون٤٤) أخباراً يسمر بها ويتعجب منها . الأحاديث : تكون اسم جمع للحديث . ومنه : أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتكون جمعاً للأحدوثة : التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة . وهي : مما يتحدّث به الناس تلهياً وتعجباً ، وهو المراد ههنا .)الكشاف ج ص

(حَكَوْتُ و الحديثَ أحْكُوهُ ي : كحَكَيْتُهُ أحكِيهِ . وحَكَيْتُ فلاناً وحاكَيْتُه : شابَهْتُه وفعَلْتُ فِعْلَهُ أو قولَه سواءٌ و عنه الكلامَ حِكايَةً : نَقَلْتُه) القاموس المحيط ص١٦٤٦

٣. هل تعرف العرب القصة؟

جاء في أسباب النزول للواحدي (قال عون بن عبد الله: مل أصحاب رسول الله ملة فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث - الآية، قال: ثم إنهم ملوا ملة أخرى

فقالوا: يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله تعالى- نحن نقص عليك أحسن القصص - فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص.)ص١٨٣

٤. لماذا القصة في القرآن الكريم (بمعنى ما هو دور القصة)؟

تتضح هذه الأهداف:-

١/ التنوع في اسلوب الخطاب و لكن ليس هذا هو الدور الرئيسي للقصة في القرآن بل دورها في إيراد الإحداث السابقة ليس في سرد تاريخي ممل بل في سرد فني عالي المستوى دون التضحية بالحقيقة التاريخية في القصة ليأخذ المتلقي العظة والعبرة تحقيقا لقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (يوسف١١١)

٢/ ان كون امة محمد (ص) شهداء على الناس من الأمم السابقة يتحتم ان تعرف امة محمد(ص) احوال تلك الامم مع رسلهم لتحقق تلك الشهادة على أصولها ونرى ذلك في تركيز القصة القرآنية على الرسل وأحوالهم مع أممهم ..

٣/ القصة القرآنية سِفْر كوني لحقيقة الحياة البشرية منذ ادم وحتى النهاية الدنيوية وما بعدها من حساب وجزاء

٤/ القيم الإنسانية التي تعرضها القصة القرآنية للأخلاق السامية التي أبداها الرسل مع أقوامهم في معرض دعوتهم (ومثال ذلك قصة إبراهيم (ع)مع أبيه آزر)..

٥/ تقدم القصة القرآنية صورة مجسدة لعالم الغيب - سواء السابق (المتمثل في قصص الانبياء والمرسلين) أو اللاحق (المتمثل في أحوال القيامة والجنة والنار)- فتنقل المتلقي إلى

تلك العوالم البعيدة من خلال عرضها الذي تحافظ فيه على المصداقية والمتمثل في حقيقة حوادث الرسل السابقين مع أممهم وتصديق لما صح في الكتب السماوية من أحوال المرسلين تحقيقا لقوله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (النمل٧٦) كل هذا في إشارة إلى صحة القصة القرآنية لما يأتي من أحداث مستقبلية في عرصات القيامة وما بعدها وهكذا تتضافر جهود القصة القرآنية في تحقيق ما جاءت به آيات السور القرآنية الأخرى حول أخبار الآخرة .

٦/ تلعب القصة القرآنية دورا مهما في تثبيت العقيدة السليمة لدى المؤمنين وتصبيرهم على تحمل المكاره التي يلاقونها من اجل تلك العقيدة وهم يقرؤون أحوال المؤمنين أتباع المرسلين مع المعاندين وصبرهم على أنواع البلاء الذي صبوه عليهم وما كانت خاتمة تلك الأحداث وكذلك يقرؤون أجور المؤمنين عبر العصور في الآخرة في جنات النعيم كل هذا يروه مجسدا في آيات القصة القرآنية .

٧/ تقدم القصة القرآنية إجابات عن عوالم غيبية لم يكن للعلم بأدواته الامبريقية ان يصل إليها كخلق السماوات والأرض وخلق ادم وصراعه مع إبليس بل وتتعدى الإجابة إلى تساؤلات أسطورية وفلسفية حول حقيقة الإلهة والشيطان والشر و...الخ كل هذا تجاوبا لتقلبات العقل البشري عبر العصور لان القرآن الكريم كتاب الإنسانية في كل زمان ومكان يشير في موضع ويفيض في آخر لكل تلك التساؤلات، لان الله ما كان ليترك الإنسان نهبا للوساوس والظنون من دون ضوء يهديه فكان هذا الكتاب بأساليبه المتنوعة ومنها اسلوب القصة القرآنية

٥. ما هي علاقة القصة بالتاريخ؟

ان القرآن في إيراده القصص لا يريد تاريخية تلك القصص بحذافيرها بقدر ما يهمه العظة والعبرة لكنه لا يغفل تصحيح الخطأ التاريخي ان وجد سواء في مرويات كتب التاريخ أو في الكتب المقدسة السابقة التي انزلت وحدث لها تحريف في ذلك الموضع مع الموافقة على ما جاء فيها إذا كان غير محرفا مصداقا لقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(يوسف١١١)

فالقرآن يستشهد ببعض الوقائع التاريخية ويجعل بعضا من تلك الأحداث التاريخية دليلا على صدق القرآن أو النص القرآني على سبيل المثال فرعون الذي أغرق في ملاحقته لموسى (ع) في البحر وهو الذي أشار القرآن الكريم إلى أنه سيجعله آية لمن خلفه {..لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ

آيَةً..}[يونس:٩٢] تبين من خلال الدراسات التاريخية أن رمسيس هذا هو نفسه الذي أغرق في زمن موسى (ع) ولا يزال جسده المحنط موجودا في متحف مصر للآثار القديمة، ومثال آخر عندما يقول القرآن {غُلِبَتِ الرُّومُ}[الروم:٢] في العصر المكي والمسلمون كانوا مضطهدين تلاحقهم الوثنية من كل مكان {غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ..}[الروم:٢- ٥] هذا وعد تاريخي في أن حدث ما سيقع بعد بضع سنين يعني كما يقول الدارسون سبع إلى تسع سنوات وكان المسلمون قد حزنوا لهزيمة البيزنطيين النصارى باعتبارهم أهل الكتاب على يد الوثنيين الفرس فوعدهم القرآن بأن النصر آت قريبا لا ريب فيه، وفعلا بعد سبع سنوات استطاعت الدولة البيزنطية زمن هرقل أن تضرب الفرس ضربة في الجزيرة الفراتية قريبة من الموصل ضربة قاصمة كادت أن تكسر عمودهم الفقري فجاء القرآن الكريم بوعده الصادق مطابقا للمعطى التاريخي، و كذلك في سورة يوسف لا يرد اسم فرعون على الإطلاق لأن يوسف ظهر في الفترة الهكسوسية التي حكم فيها الهكسوس مصر وأخرجوا الفراعنة دفعوهم إلى بلاد النوبة وسيطروا على مقدرات مصر وشكلوا مملكة فالذي كان يحكم مصر آنذاك كان يسمى ملكا وليس فرعونا فسنجد اسم الملك يتردد في سورة يوسف ولا تجد أي أثر لاسم فرعون

٦. ما هي ميزات القصة القرآنية؟

لها عدة ميزات منها :-

١/ تميز القصة في القرآن الكريم بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضوياً لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بحيث لو حذفنا القصة من موقعها الوارد في السورة لاختل المعنى، لأن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ

٢/ البداية المشوقة كما في سورة الفيل: (الآيات: ١-٥) التي ابتدأت بسؤال مثير للاهتمام: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

٣/ تهتم بالتصوير والتجسيم والاستحضار والإيحاء، فسورة "يوسف" من أولها إلى آخرها لم تقل شيئاً عن وسامة يوسف عليه السلام، لكننا نرى الوسامة الأخاذة في أعين النسوة اللائي عندما رأينه، قطعن أيديهن لفرط الذهول من وسامته. فحقيقة جمال ووسامة يوسف قدمت لنا مجسمة تكاد تنطق في قوله تعالى: فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله

ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ٣١ صلى الله عليه وسلم يوسف: ٣١} والتضعيف في الفعل (قطَّعن) أسهم في إيضاح الموقف وتصويره بحيث يمكننا تخيل مشهد النسوة وهن يقمن بتقطيع أيديهن، فتشبيه يوسف بالملك الكريم يعني أن جماله فاق الوصف.

٤/ لم تلتزم القصة القرآنية طريقاً واحداً من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المفصلة: كما في قصة موسى (ع) في سورة الأعراف، وقصة نوح (ع) في سورة هود.وهناك القصة المجملة: كما في قصة نوح في سورة الأعراف، وقصة موسى في سورة هود، فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى. كذلك سورة يونس فصلت بعض التفصيل في قصة موسى (ع) وأجملت في قصة نوح (ع).

٧. لماذا تكرر ذكر القصص القرآنية هكذا في القرآن الكريم ؟

ان التكرار هو من صيغ العرب ولعل في قصيدة الحارث بن عباد – اثناء حرب البسوس- اكبر دليل على ذلك بتكراره لقوله (قربا مربط النعامة مني) لاكثر من خمسين مرة لذا فتكرار القصة في القرآن لا يخرجها عن طريقة العرب في الحديث لكن العلة وراء التكرار تكمن في نوعية القصة نفسها....إلى جانب ان التكرار لمقاطع القصة الواحدة ليس تكرارا أجوفا لا روح فيه بل هو تكامليا فنجد انه في كل مقطع يضيف القرآن الكريم لمحة أو صورة جديدة لم تكن موجودة في المقطع السابق ففي قصة موسى نجد ان في سورة البقرة ذكر قصة البقرة التي لا ذكر لها في أي مقطع آخر وكذلك كيفية توبة بني إسرائيل من عبادة العجل وجاء في سورة الاعراف اسماء الايات التسع وطلب موسى (ع) رؤية الله سبحانه وتعالى وفي سورة يونس مقطع غرق فرعون بالتفصيل اما في سورة طه فمقطع السامري وعبادة العجل وحوار هارون (ع)مع قوم موسى في غيبته وهكذا في كل مقطع اضافة جديدة حتى اقصر السور تضمنا لقصة موسى(ع) وهي سورة النازعات ذكر مقولة لفرعون (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) لم يذكرها في موضع آخر وهذا التكرار في المقاطع يجعل المتلقي لا يحيط بالقصة كاملة الا إذا قرأ كل مواضع ومقاطع القصة في القرآن كله لا ن ما اوجز في موضع فصّل في موضع آخر.

٨. لماذا كانت قصة موسى عليه السلام أكثر القص تكرارا؟

قصة موسى (ع) مثلا تكررت اكثر في القرآن لانها – والله اعلم- تخاطب الناس عن النبي موسى (ع) مع قومه اليهود الذين هم قوم ماديون كما نعلم ولا يؤمنون الا بالمحسوس اكثر من غيره لذا كان هذا التكرار من قبيل هذه المادية وكذلك كان اكثر المحيطين بالنبي والرسالة في فترة النزول من اهل الكتب السماوية هم اليهود فناسب هذا التكرار لتعديد ما منّ الله على أسلافهم من النعم و إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعنتهم على أنبيائهم فكأنه تعالى يقول إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به وأنقذهم من العذاب بسببه فغير بدع ما يعامله أخلافهم محمد (ص).

٩. لماذا لم تتكرر قصة يوسف عليه السلام ؟

ان القصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة إلى الله تعالى، فقصص أولئك الأنبياء الذين تحملوا المشقة ولاقوا العنت، وهم يدعون أقوامهم كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام، أما التي ذكرت مرة واحدة لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان بين الأنبياء عليهم السلام وأممهم، وما لاقاه هؤلاء من أولئك، إنما كان حديثها في مجالات اجتماعية، وجوانب إنسانية، وقيم خلقية.

ومنها قصة يوسف (ع) و كذلك قصة موسى (ع) مع العبد الصالح التي جاءت في سورة الكهف، وقصة موسى مع قومه في دخول الأرض المقدسة التي جاءت في سورة المائدة، ومع قومه في ذبح البقرة إلى جانب ان في القرآن الكريم قصصاً لغير الأنبياء، أو لمن اختلف في نبوتهم لم تذكر إلا مرة واحدة في كتاب الله، كقصة ذي القرنين، وما كان من حديث لقمان لابنه، ونبأ ابني آدم وقصة أهل الكهف وخبر المائدة التي طلبها الحواريون ونبأ أصحاب الجنة الذي جاء في سورة (ن).

ولعل القصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة فذكرت أكثر من مرة وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة، قصة آدم عليه السلام ، ولكن إذا عرفنا أن قصة آدم أبي البشر جاءت تحدثنا عن النواحي الفطرية والجوانب الرئيسة في حياة الإنسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته، إذا عرفنا ذلك أدركنا السر الذي ذكرت من أجله قصة آدم في أكثر من سورة

١٠. مقاطع القصة في السورة... ما هي علاقتها بالسورة المحتوية عليها ؟

ان اختيار مقطع معين من القصة في سورة معينة انما هو يخدم هدف السورة تلك ولا يكون الا في تلك السورة لان سرد القصة هي احدى الوسائل في تحقيق هدف السورة في القرآن الكريم فقصة موسى (ع) – مثلا- في سورتي النمل والقصص يقول الدكتور فاضل السامرائي في التعبير القرآني (القصة في سورة القصص إذن مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وهذا الأمر ظاهر في صياغة القصتين، واختيار التعبير لكل منهما.هذا أمر، والأمر الثاني أن المقام في سورة النمل، مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعا بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، في حين ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا. فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه، ومن ناحية ثالثة، إن كل تعبير مناسبٌ لجو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل.)

١١. الاختلاف في سرد نفس المقطع في السور المختلفة للقصة نفسها ما دلالته ؟ وماذا حدث أصلا ؟

على سبيل المثال مقطع استسقاء موسى لقومه المذكور في سورتي البقرة و الاعراف ماذا حدث فعلاً هل انفجرت أو انبجست؟ والجواب كلاهما وحسب ما يقوله المفسرون أن الماء انفجرت أولاً بالماء الكثير ثم قلّ الماء بمعاصيهم وفي سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير فجاءت كلمة (انفجرت) أما في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الإنبجاس وهو أقلّ من الإنفجار.....ويمكننا ان نتلمس هذا الاختلاف في اختلاف المفردات التي وصفت ذلك المقطع في كل سورة تضمنته .

***

مع تحيات

موقع عيون المعرفة

www.know-e.com